سـورة التكوير

وفي الترمذي: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلي يوم القيامة [كأنه رأي عين] فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت» (١). قال: هذا حديث حسن[غريب].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال ابن عباس: تكويرها: إدخالها في العرش (٢)، والحسن: ذهاب ضوئها (٣)، وقاله قتادة ومجاهد (٤)، وروي عن ابن عباس أيضا (٥). سعيد بن جبير: غورت (٦). أبو عبيدة: كورت مثل تكوير العمامة، تلف فتمحى، وقال الربيع بن خثيم: «كورت» رمي بها؛ ومنه: كورته فتكور؛ أي سقط.

قلت: وأصل التكوير: الجمع، مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها ، أي: لأنها وجمعها فهي تكور ويُمحى ضوؤها، ثم يرمى بها في البحر، والله أعلم، وعن أبي صالح: كورت: نكست، ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ أي: تهافتت وتناثرت، وقال أبو عبيدة: أنصبت كما تنصب العقاب إذا انكسرت، قال العجاج يصف صقرا:

أبصرَ خربان فضاء فانكدر تقضِّيَ البازي إذا البازي كَسَر

وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبقى في السماء يومئذ نجم إلا سقط في الأرض، حتى يفزع أهل الأرض السابعة مما لقيت وأصاب العليا » (٧)، يعني الأرض، وروى الضحاك عن ابن عباس قال: تساقطت؛ وذلك أنها قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل

(١) حسن غريب : الترمذي (٣٣٣٣) في التفسير ،وصححه الألباني هناك ، وفي الصحيحة (١٠٨١) .
(٢) تفسير الرازي (٩/ ٣٤٥) .
(٣) انظر: السابق .
(٤) حسن إليهما : الطبري (٣٠/ ٦٩) في تفسيره .
(٥) ضعيف : كذا رواه الطبري (٣٠/ ٦٨) في تفسيره،عن طريق العوفيين .
(٦) في إسناده ضعف : الطبري (٣٠/ ٦٩) في تفسيره،وابن أبي حاتم (١٢/ ٣٦٩) في تفسيره.
(٧) موضوع : أبو صالح كذاب إذا روى عن ابن عباس،فكيف إذا رفع إلى النبي ﷺ .؟!

من نور، وتلك السلاسل بأيدي ملائكة من نور، فإذا جاءت النفخة الأولى مات من في الأرض ومن في السموات، فتناثرت تلك الكواكب وتساقطت السلاسل من أيدي الملائكة؛ لأنه مات من كان يمسكها [١]، ويحتمل أن يكون انكدارها طمس آثارها، وسميت النجوم نجوما لظهورها في السماء بضوئها، وعن ابن عباس أيضا: ﴿انكَدَرَتْ﴾ تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن أماكنها [٢]، والمعنى متقارب.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ يعني قلعت من الأرض، وسيرت في الهواء؛ وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]، وقيل: سيرها تحولها عن منزلة الحجارة، فتكون كثيبا مهيلا أي: رملا سائلا وتكون كالعهن، وتكون هباء منثورا، وتكون سرابا، مثل السراب الذي ليس بشيء، وعادت الأرض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، وقد تقدم في غير موضع والحمد لله، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ أي: النوق الحوامل التي في بطونها أولادها؛ الواحدة عشراء، هي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع، وبعدما تضع أيضا، ومن عادة العرب أن يسموا الشيء باسمه المتقدم وإن كان قد جاوز ذلك؛ يقول الرجل لفرسه وقد قرح: هاتوا مهري وقربوا مهري، ويسميه بمتقدم اسمه؛ قال عنترة:

لا تذكُرِي مُهْرِي وما أطعمتُه ... فيكونَ جِلدُكِ مثلَ جِلدِ الأجرب

وقال أيضا:

وحَمَلْتُ مُهرِي وسْطَها فمضاها

وإنما خص العشار بالذكر؛ لأنها أعز ما تكون على العرب، وليس يعطلها أهلها إلا حال القيامة، وهذا على وجه المثل؛ لأن في القيامة لا تكون ناقة عشراء، ولكن أراد به المثل؛ [يعني] أن هول يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه، وقيل: إنهم إذا قاموا من قبورهم، وشاهد بعضهم بعضا، ورأوا الوحوش والدواب محشورة، وفيها عشارهم التي كانت أنفس أموالهم، لم يعبؤوا بها، ولم يهمهم أمرها، وخوطبت العرب بأمر العشار؛ لأن مالها وعيشها أكثره من الإبل، وروى الضحاك عن ابن عباس: ﴿عُطِّلَتْ﴾: عطلها أهلها، لاشتغالهم بأنفسهم [٣]، وقال الأعشى:

هو الواهِبُ المائةَ المصطفا ... ةَ إما مَخاضاً وإما عِشارَا

وقال آخر:

ترى المرءَ مهجوراً إذا قلَّ مالهُ ... وبيتُ الغنى يُهْدَي له ويُزارُ
وما ينفعُ الزوّارِ مالُ مَزُورِهم ... إذا سَرَحَتْ شَوْلٌ له وعِشارُ

يقال: ناقة عُشَراء، وناقتان عُشَراوان، نوق عشار وعشراوات، يبدلون من همزة التأنيث واوا. وقد عشرت الناقة تعشيرا، أي: صارت عُشَرَاء، وقيل: العشار: السحاب يعطل مما يكون فيه وهو

---

(١) منقطع: بين الضحاك وابن عباس ـ رضي الله عنهما انظر: الطبري(٣٠/ ٧١).
(٢) منقطع: بين علي بن أبي طلحة وابن عباس ـ رضي الله عنهما.
(٣) منقطع: بين الضحاك وابن عباس رضي الله عنهما.

الماء فلا يمطر؛ والعرب تشبه السحاب بالحامل، وقيل: الديار تعطل فلا تسكن، وقيل: الأرض التي يعشر زرعها تعطل فلا تزرع، والأول أشهر، وعليه من الناس الأكثر.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي: جمعت والحشر: الجمع، عن الحسن وقتادة وغيرهما[١]، وقال ابن عباس: حشرها: موتها[٢]، رواه عنه عكرمة، وحشر كل شيء: الموت غير الجن والإنس، فإنهما يوافيان يوم القيامة[٣]، وعن ابن عباس أيضا قال: يحشر كل شيء حتى الذباب[٤]، قال ابن عباس: تحشر الوحوش غدا، أي: تجمع حتى يقتص لبعضها من بعض، فيقتص للجماء من القرناء، ثم يقال لها كوني: ترابا فتموت[٥]، وهذا أصح مما رواه عنه عكرمة، وقد بيناه في كتاب «التذكرة» مستوفى[٦]، ومضى في سورة «الأنعام» بعضه[٧]، أي: أن الوحوش إذا كانت هذه حالها فكيف ببني آدم، وقيل: عني بهذا أنها مع نفرتها اليوم من الناس وتنددها في الصحاري، تنضم غدا إلى الناس من أهوال ذلك اليوم، قال معناه أبي بن كعب.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أي: ملئت من الماء؛ والعرب تقول: سجرت الحوض أسجره سَجْرا: إذا ملأته، وهو مسجور والمسجور والساجر في اللغة: الملآن، وروى الربيع بن خثيم: ﴿سُجِّرَتْ﴾: فاضت وملئت[٨]، وقاله الكلبي ومقاتل والحسن والضحاك[٩]، قال ابن أبي زمنين: «سُجِّرَتْ» حقيقته ملئت، فيفضي بعضها إلى بعض فتصير شيئا واحدا، وهو معنى قول الحسن، وقيل: أرسل عذبها على مالحها ومالحها على عذبها حتى امتلأت، عن الضحاك ومجاهد: أي: فجرت فصارت بحرا واحدا[١٠]. القشيري: وذلك بأن يرفع الله الحاجز الذي ذكره في قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠]، فإذا رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه البحار، فعمت الأرض كلها، وصارت البحار بحرا واحدا، وقيل: صارت بحرا واحدا من الحميم لأهل النار، وعن الحسن أيضا وقتادة وابن حيان: تيبس فلا يبقى من مائها قطرة. القشيري: وهو من سجرت التنور أسجره سجرا: إذا أحميته، وإذا سلط عليه الإيقاد نشف ما فيه من الرطوبة، وتسير الجبال حينئذ وتصير البحار والأرض كلها بساطا واحدا، بأن يملأ مكان البحار بتراب الجبال، وقال النحاس: وقد تكون الأقوال متفقة؛ ويكون تيبس من الماء بعد أن يفيض، بعضها إلى بعض، فتقلب نارا.

---

(١) صحيح إلى قتادة: الطبري (٣٠/ ٧٢) في تفسيره.

(٢) صحيح إلى ابن عباس: الطبري (٣٠/ ٧١) من طريق عكرمة، ورواه بسند حسن آخر عنه (٣٠/ ٧٢).

(٣) انظر السابق.

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره، كما قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٢٥٨)، وهو هناك (١٢/ ٣٧٤) بلا سند.

(٥) وفي هذا حديث مرفوع وقد سبق عند مسلم (٢٥٨٢)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه، والجَلْحَاء: الشاة بلا قرن.

(٦) انظر التذكرة (١/ ١٨٩ ـ ٢٠٥).

(٧) عند الآية ٣٨.

(٨) رواه الطبري بأسانيد ضعاف في كما في تفسيره (٣٠/ ٧٣).

(٩) كذا في الطبري (٣٠/ ٧٣) إلا قول مقاتل.

(١٠) انظر: السابق وفيه انقطاع بين الطبري وشيخه الحسين.

قلت : ثم سير الجبال حينئذ، كما ذكر القشيري، والله أعلم، وقال ابن زيد وشمر وعطية وسفيان ووهب وأبي وعلي بن أبي طالب وابن عباس في رواية الضحاك عنه: أوقدت فصارت نارا[١]، قال ابن عباس: يكور الله الشمس والقمر والنجوم في البحر، ثم يبعث الله عليها ريحا دبورا، فتنفخه حتى يصير نارا [٢]، وكذا في بعض الحديث: «يأمر الله جل ثناؤه الشمس والقمر والنجوم فينتثرون في البحر، ثم يبعث الله جل ثناؤه الدبور فيسجرها نارا، فتلك نار الله الكبرى، التي يعذب بها الكفار» [٣]، قال القشيري: قيل في تفسير قول ابن عباس :« سُجِّرَتْ» أوقدت، يحتمل أن تكون جهنم في قعور من البحار، فهي الآن غير مسجورة لقوام الدنيا، فإذا أنقضت الدنيا سجرت، فصارت كلها نارا يدخلها الله أهلها، ويحتمل أن تكون تحت البحر نار، ثم يوقد الله البحر كله فيصير نارا، وفي الخبر: البحر نار في نار [٤]، وقال معاوية بن سعيد: بحر الروم وسط الأرض، أسفله آبار مطبقة بنحاس يسجر نارا يوم القيامة، وقيل: تكون الشمس في البحر، فيصير البحر نارا بحرٌ الشمس، ثم جميع ما في هذه الآيات يجوز أن يكون في الدنيا قبل يوم القيامة ويكون من أشراطها، ويجوز أن يكون يوم القيامة، وما بعد هذه الآيات فيكون في يوم القيامة[٥].

قلت :روي عن عبد الله بن عمرو: لا يتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم [٦]، وقال أبي بن كعب: ست آيات من قبل يوم القيامة: بينما الناس في أسواقهم ذهب ضوء الشمس وبدت النجوم فتحيروا ودهشوا، فبينما هم كذلك ينظرون إذ تناثرت النجوم وتساقطت، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت واضطربت واحترقت، فصارت هباءً منثورا، ففزعت الإنس إلى الجن والجن إلى الإنس، واختلطت الدواب والوحوش والهوام والطير، وماج بعضها في بعض؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ثم قالت الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحار فإذا هي نار تأجج، فبينما هم كذلك تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلي، وإلى السماء السابعة العليا، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأماتتهم [٧]، وقيل: معنى ﴿سُجِّرَتْ﴾: هو حمرة مائها، حتى تصير كالدم؛ مأخوذ من قولهم: عين سجراء، أي: حمراء، وقرأ ابن كثير «سُجِّرَت » [٨] وأبو عمرو أيضا، إخبارًا عن حالها مرة واحدة، وقرأ الباقون بالتشديد إخبارًا عن حالها في تكرير ذلك منها مرة بعد أخرى.

---

(١) السند إلى على صحيح كما في الطبري (٣٠/ ٧٢) بسند على شرط مسلم بينما رواية الضحاك عن ابن عباس منقطعة ، والرواية إلى أُبي حسنة ، وباقى الآثار انظرها في الدر المنثور (٦/ ٥٢٧) للسيوطي.

(٢) ضعيف جدًا : فيه مجالد بن سعيد وليس بالقوى في حديثه ،وفيه جهالة (شيخ من بجيلة وهو المحدث عن ابن عباس ، وانظر: الطبري (٣٠/ ٧٢) في تفسيره .

(٣) ضعيف جدًا : وهو السابق نفسه .

(٤) موضوع : كذا قال السيوطي (٢/ ٣) في اللآلئ ، وابن الجوزي (٣/ ٢٧٩) في الموضوعات .

(٥) ضعيف : ابن أبي حاتم (١٢/ ٣٧٤) في تفسيره .

(٦) عزاه العجلوني (١/ ٣٣١) لابن أبي شيبة بنحوه ، ورواه أحمد مرفوعًا عن يعلى بن منبه ، وذكره ابن رجب (١/ ٤٧) في التخويف من النار ، بصيغة التمريض ، وذكره ابن عبد البر (١/ ٢٣٩ ، ٢٤٠) في التمهيد وضعفه .

(٧) حسن: إلى أُبي ، وله حكم الرفع : فمثله لا يقال إلا عن توقيف ، كذا عند الطبري (٣٠/ ٦٨) في تفسيره.

(٨) قراءة سبعية متواترة : كما في تقريب النشر (ص١٨٦) .

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال النعمان بن بشير: قال النبي ﷺ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: «يقرن كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون كعمله» (١)، وقال عمر بن الخطاب: يقرن الفاجر مع الفاجر، ويقرن الصالح مع الصالح (٢)، وقال ابن عباس: ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة، السابقون زوج - يعني صنفًا - وأصحاب اليمين زوج، وأصحاب الشمال زوج (٣)، وعنه أيضا قال: زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين، وقرن الكافر بالشياطين، وكذلك المنافقون (٤) وعنه أيضا: قرن كل شكل بشكله من أهل الجنة وأهل النار، فيضم المبرز في الطاعة إلى مثله، والمتوسط إلى مثله، وأهل المعصية إلى مثله؛ فالتزويج أن يقرن الشيء بمثله (٥)؛ والمعنى: وإذا النفوس قرنت إلى أشكالها في الجنة والنار، وقيل: يضم كل رجل إلى من كان يلزمه من ملك وسلطان، كما قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]، وقال عبد الرحمن بن زيد: جعلوا أزواجا على أشباه أعمالهم ليس بتزويج، أصحاب اليمين زوج، وأصحاب الشمال زوج، والسابقون زوج؛ وقد قال جل ثناؤه: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] أي: أشكالهم (٦)، وقال عكرمة: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قرنت الأرواح بالأجساد؛ أي: ردت إليها (٧)، وقال الحسن: ألحق كل امرئ بشيعته: اليهود باليهود، والنصاري بالنصارى، والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد شيئا من دون الله يلحق بعضهم ببعض، والمنافقون بالمنافقين، والمؤمنون بالمؤمنين (٨)، وقيل: يقرن الغاوي بمن أغواه من شيطان أو إنسان، على جهة البغض والعداوة، ويقرن المطيع بمن دعاه إلى الطاعة من الأنبياء والمؤمنين، وقيل: قرنت النفوس بأعمالها، فصارت لاختصاصها به كالتزويج.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ الموؤودة المقتولة؛ وهي الجارية تدفن وهي حية، سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب، فيؤودها أي: يثقلها حتى تموت؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي: لا يثقله؛ وقال متمم بن نويرة:

ومَوْؤودةٌ مَقبورةٌ في مفَازةٍ بآمتِها مَوْسودةٌ لَم تُمَهَّد

وكانوا يدفنون بناتهم أحياءً لخصلتين: إحداهما: كانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات به. الثانية: إما مخافة الحاجة والإملاق، وإما خوفا من السبي والاسترقاق، وقد مضى في سورة «النحل» هذا المعنى، عند قوله تعالى: ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [النحل: ٥٩] مستوفى، وقد كان ذوو الشرف منهم يمتنعون من هذا، ويمنعون منه، حتى افتخر به الفرزدق، فقال:

---

(١) ضعيف جدًا: فيه الوليد بن أبي ثور وهو ضعيف قال يحيى بن معين: ليس بشيء، وهو كذَّاب كما في ضعفاء العقيلي (٤/ ٣١٩)، ورواه ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٧٢) في تفسيره و (١٢/ ٣٧٦).

(٢) حسن بطرقه: السابق (١٢/ ٣٧٦)، ورواه الطبري بسند حسن كما في تفسيره (٣٠/ ٧٤).

(٣) ضعيف: الطبري (٣٠/ ٧٥) في تفسيره بسنده عن العوفيين.

(٤، ٥) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٦٠).

(٦، ٧) كذا عند الطبري (٣٠/ ٧٥) في تفسيره.

(٨) كذا في الدر المنثور (٦/ ٥٢٦) للسيوطي عن قتادة لا عن الحسن.

ومنا الذي مَنَعَ الوائداتِ فأحيا الوئيدَ فلم يُوأد

يعني جده صعصعة كان يشتريهن من آبائهن، فجاء الإسلام وقد أحيا سبعين موؤودة، وقال ابن عباس: كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة، وتمخضت على رأسها، فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة، وردت التراب عليها، وإن ولدت غلاما حبسته، ومنه قول الراجز:

سَمَّيتها إذ وُلِدتْ تموتُ والقبرُ صِهرٌ ضَامِنٌ زميت (١)

الزميت: الوقور، والزميت مثال الفسيق أوقر من الزميت، وفلان أزمت الناس، أي: أوقرهم، وما أشد تزمته؛ عن الفراء، وقال قتادة: كانت الجاهلية يقتل أحدهم ابنته، ويغذو كلبه، فعاتبهم الله على ذلك، وتوعدهم بقوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ (٢) قال عمر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ قال: جاء قيس بن عاصم إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني وأدت ثماني بنات كن لي في الجاهلية، قال: «فأعتق عن كل واحدة منهن رقبة» قال: يا رسول الله ،إني صاحب إبل، قال: «فأهد عن كل واحدة منهن بدنة إن شئت» (٣).

وقوله تعالى: ﴿سُئِلَتْ﴾ سؤال الموؤودة سؤال توبيخ لقاتلها، كما يقال للطفل إذا ضرب: لم ضربت؟ وما ذنبك؟ قال الحسن: أراد الله أن يوبخ قاتلها؛ لأنها قتلت بغير ذنب، وقال ابن أسلم: بأي: ذنب ضربت، وكانوا يضربونها، وذكر بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿سُئِلَتْ﴾ قال: طلبت؛ كأنه يريد كما يطلب بدم القتيل، قال: وهو كقوله: ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾ [الأحزاب: ١٥] أي: مطلوبا، فكأنها طلبت منهم، فقيل: أين أولادكم؟ وقرأ الضحاك وأبو الضحى عن جابر بن زيد وأبي صالح: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ فتتعلق الجارية بأبيها، فتقول: بأي ذنب قتلتني؟! فلا يكون له عذر(٤)؛ قاله ابن عباس وكان يقرأ: « وإذا الموؤودة سألت » وكذلك هو في مصحف أبي (٥)، وروى عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إن المرأة التي تقتل ولدها تأتي يوم القيامة متعلقا ولدها بثدييها، ملطخا بدمائه، فيقول: يا رب، هذه أمي، وهذه قتلتني» (٦)، والقول الأول عليه الجمهور، وهو مثل قوله تعالى لعيسى: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦] ،على جهة التوبيخ والتبكيت لهم، فكذلك سؤال الموؤودة توبيخ لوائدها، وهو أبلغ من سؤالها عن قتلها؛ لأن هذا مما لا يصح إلا بذنب، فبأي ذنب كان ذلك، فإذا ظهر أنه لا ذنب لها، كان أعظم في البلية وظهور الحجة على قاتلها، والله أعلم،

---

(١) عزاه السيوطي (٦/ ٢٥٦) لعبد بن حميد ،وابن المنذر .

(٢) كذا بسند صحيح عند كما رواه الطبري (٣/ ٧٧) .

(٣) **ضعيف الإسناد وله شواهد** : رواه ابن أبي حاتم (١٢/ ٣٧٧) في تفسيره ، وفيه قيس بن الربيع ، قال البخاري: كان وكيع يضعفه كما في التاريخ الكبير (٧/ ١٥٦) ، وفي أحوال الرجال (١/ ٦٦) ، قال: ساقط، وضعفه أحمد ويحيى ، ووثقه شعبة .

ورواه الهيثمي (٧/ ١٣٤) ، عن عمر ـ رضي الله عنه كما في المجمع وعزاه للبزار ،والطبراني ،وقال : «ورجال البزار رجال الصحيح غير حسين بن مهدى الأيلى وهو ثقة».

(٤) عزاه السيوطي (٦/ ٥٢٨) في الدر لسعيد بن منصور وعبد بن حميد .

(٥) **قراءة غير متواترة** : كما في تفسير ابن عطية (١٦/ ٢٤٠) .

(٦) **ضعيف** : نقله ابن عادل (١٦/ ٢٤٣) في لباب النقول عن المصنف بصيغة التمريض (رُوِى) .

وقرئ: « قُتِّلَت »بالتشديد [١]، وفيه دليل بين على أن أطفال المشركين لا يعذبون، وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بذنب.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ أي: فتحت بعد أن كانت مطوية، والمراد صحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير وشر، تطوي بالموت، وتنشر في يوم القيامة، فيقف كل إنسان على صحيفته، فيعلم ما فيها، فيقول: ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، وروى مرثد بن وداعة قال: إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش، فتقع صحيفة المؤمن في يده ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢٢] إلى قوله: ﴿الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] وتقع صحيفة الكافر في يده ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة]، وروي عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة» فقلت: يا رسول الله فكيف بالنساء؟ قال: «شغل الناس يا أم سلمة»، قلت: وما شغلهم؟ قال: «نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل» [٢]، وقد مضى في سورة «الإسراء» قول أبي الثوار العدوي: هما نشرتان وطية، أما ما حييت يابن آدم فصحيفتك المنشورة فأمل فيها ما شئت، فإذا مت طويت، حتى إذا بعثت نشرت ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] [٣]، وقال مقاتل: إذا مات المرء طويت صحيفة عمله، فإذا كان يوم القيامة نشرت [٤]، وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا قرأها قال: إليك يساق الأمر يا بن آدم [٥]، وقرأ نافع وابن عام وعاصم وأبو عمرو: ﴿نُشِرَتْ﴾ مخففة، على نشرت مرة واحدة، لقيام الحجة، الباقون بالتشديد [٦]، على تكرار النشر، للمبالغة في تقريع العاصي، وتبشير المطيع، وقيل: لتكرار ذلك من الإنسان والملائكة الشهداء عليه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ الكشط: قلع عن شدة التزاق؛ فالسماء تكشط كما يكشط الجلد عن الكبش وغيره والقشط: لغة فيه، وفي قراءة عبد الله: « وإذا السماءُ قُشطت» وكشطت البعير كشطا: نزعت جلده ولا يقال سلخته؛ لأن العرب لا تقول في البعير إلا كشطته أو جلدته، وانكشط: أي: ذهب؛ فالسماء تنزع من مكانها كما ينزع الغطاء عن الشيء، وقيل: تطوى كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] فكأن المعنى: قلعت فطويت، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أي: أوقدت فأضرمت للكفار وزيد في إحمائها، يقال: سعرت النار وأسعرتها، وقراءة العامة بالتخفيف [٧] من السعير، وقرأ نافع وابن ذكوان ورويس بالتشديد لأنها أوقدت مدة بعد مرة، قال قتادة: سعرها غضب الله وخطايا بني آدم [٨]، وفي الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها

(١) قراءة متواترة: كما في تقريب النشر (ص١٨٦).

(٢) ضعيف: ما وجدته إلا في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٧٠٩)، وقال الحافظ: رواه الثعلبي.
قلت: ورواياته ضعيفة.

(٣ـ ٥) انظرها عند الآية (١٤) من سورة الإسراء.

(٦، ٧) قراءتان متواترتان: كما في تقريب النشر (ص١٨٦).

(٨) صحيح إلى قتادة: الطبري (٣٠/ ٧٨) في تفسيره.

ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة »[١] وروي موقوفا.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي: دنت وقربت من المتقين، قال الحسن: إنهم يقربون منها؛ لا أنها تزول عن موضعها[٢]، وكان عبد الرحمن بن زيد يقول: زينت: أزلفت[٣] والزلفى في كلام العرب: القربة قال الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠]، وتزلف فلان تقرب.

قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ يعني ما عملت من خير وشر، وهذا جواب ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وما بعدها، قال عمر رضي الله عنه: لهذا أجري الحديث[٤]، وروي عن ابن عباس وعمر رضي الله عنهما أنهما قرآها، فلما بلغا ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ قالا: لهذا أجريت القصة[٥]؛ فالمعنى على هذا إذا الشمس كورت وكانت هذه الأشياء، علمت نفس ما أحضرت من عملها، وفي الصحيحين عن عديّ بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله ما بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدمه، وينظر أشأم منه فلا يرى شيئًا، وينظر أمامه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل»[٦] وقال الحسن: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾قسم وقع على قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾[٧] كما يقال: إذا نفر زيد نفر عمرو، والقول الأول أصح، وقال ابن زيد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ اثنتا عشرة خصلة: ستة في الدنيا، وستة في الآخرة[٨]؛ وقد بينا الستة الأولى بقول أبي بن كعب.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ أي: أقسم، و﴿لا﴾ زائدة، كما تقدم، ﴿بِالْخُنَّسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝١٦﴾ هي الكواكب الخمسة الدراري: زحل والمشتري وعطارد والمريخ والزهرة، فيما ذكر أهل التفسير، والله أعلم، وهو مروي عن علي كرم الله وجهه[٩]، وفي تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم وجهان:

---

(١) ضعفه الألباني مرفوعًا: الترمذي (٢٥٩١) في صفة جهنم، وابن ماجه (٤٣٢٠) في الزهد.
وقال الترمذي (٢٥٩١ مكرر) الموقوف أصح».

(٢، ٣) تفسير الحسن البصري (٢/ ٤٠٣)، وضعّفه ابن رجب (١/ ٧٥) في التخويف من النار.

(٤) حسن: ابن أبي حاتم (١٢/ ٣٧٧) في التفسير، ورواه الطبري (٣٠/ ٧٩) منقطعًا فقد رواه عن قتادة عن عمر، ولم يسمع منه.

(٥) هذه صيغة التمريض، والسابق أصح.

(٦) متفق عليه: البخاري (١٤١٣) في الزكاة، ومسلم (١٠١٦) في الزكاة.

(٧) سبق تخريجه.

(٨) ضعيف جدًا: ابن زيد يروى المقلوبات عن الصحابة وغيرهم.

(٩) ضعيف جدًا: رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢/ ٣٧٨) من طريق الأصبغ بن نباتة عن علي، وهو لين، وكان زائغًا كما في أحوال الرجال (١/ ٤٧).

أحدهما: لأنهـا تستقبل الشمس؛ قـاله بكر بن عبد الله المزني [١]. الثاني: لأنها تقطع المجرة؛ قاله ابن عباس [٢]، وقال الحسن وقتادة: هـي النجوم التي تخنس بالنهـار وإذا غربت [٣]، وقاله علي رضي الله عنه، قـال: هي النجوم تخنس بالـنهار، وتظهـر بالليل؛ وتكنس في وقت غروبـها؛ أي: تتأخر عن البصـر لخفائها، فلا ترى [٤]، وفي «الصحاح»: ﴿الْخُنَّسِ﴾: الكواكب كلها، لأنها تخنس في المغيب، أو لأنهـا تخنس نهارا، ويقال: هي الكواكب السيـارة منها دون الثابتة، وقـال الفراء في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝١٦﴾: إنها النجوم الخمسـة: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد؛ لأنها تخنس في مجـراها، وتكنس، أي: تستتر كمـا تكنس الظباء في المغار، وهو الكناس، ويقال: سميت خنسـا لتأخرها، لأنها الكواكب المتحيرة التي ترجع وتسـتقيم، يقال: خنس عنه يخنُس بالضم خنوسـا: تأخر، وأخنسـه غيره: إذا خلـفه ومضى عنه، والخنس تـأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة، والرجل أخنس، والمرأة خنسـاء، والبقر كلها خنس، وقد روي عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ هي بقر الوحش [٥]، وروى هشيم عن زكريا عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبـيل قال: قال لي عبد الله بن مسعود: إنكم قوم عرب فما الخنس؟ قلت: هي بـقر الوحش؛ قال: وأنا أرى ذلك [٦]، وقاله إبراهيم وجابـر بن عبد الله، وروي عن ابن عبـاس: إنما أقسم الله ببـقر الوحش [٧]، وروى عنه عكرمـة قال: ﴿الْخُنَّسِ﴾: البـقر و﴿الْكُنَّسِ﴾: هي الظبـاء، فهي خنس إذا رأيـن الإنسان خنسن وانقـبضـن وتأخرن ودخلن كناسـهن، القشيـري: وقيل على هذا: ﴿الْخُنَّسِ﴾ من الخنس في الأنف، وهو تأخـرن الأرنبة وقصـر القصـبة، وأنوف البقر والظباء خنس، والأصل الحمل على النجوم، لذكـر الليل والصبح بعد هذا، فذكر النجوم أليق بذلك.

قلت: لله أن يقـسم بما شاء من مـخلوقاته من حيوان وجمـاد، وإن لم يعلم وجه الحكـمة في ذلك، وقد جاء عن ابن مـسعود وجابر بن عبـد الله وهما صحابيان والنخـعي أنها بقر الوحش [٨]، وعن ابن عباس وسعيد بن جبير أنها الظباء [٩]، وعن الحجاج بن منذر قال: سألت جابر بن زيد عن الجواري الكنس، فقال: الظباء والبقر [١٠]، فلا يبعد أن يكون المراد النجوم، وقد قيل: إنها الملائكة؛ حكاه الماوردي [١١]، والكنس الغيب؛ مأخوذة من الكناس، وهو كناس الوحش الذي يختفي فيه، قال أوس بن حجر:

---

(١) حسن: الطبري (٣٠/ ٨٠) في تفسيره، وبسنده ابن كثير (٨/ ٢٦٣) في تفسيره.

(٢) ضعيف: أبو الشيخ (٤/ ١٢١٢) في العظمة.

(٣) صحيح إليهما: الطبري (٣/ ٨٠) في تفسيره.

(٤) فيه جهالة: ورواه الطبري في السابق، وابن أبي حاتم (١٢/ ٣٧٩) في تفسيره.

(٥، ٦) حسن: الطبري (٣٠/ ٨٠) وذكره عبد الرزاق كما في الدر المنثور (٦/ ٥٢٩).

(٧) كذا عند الرازي (١٦/ ٣٧٦) ورجح أن المراد بالقسم: النجوم، وهو الصحيح ـ إن شاء الله.

(٨ ـ ١٠) كذا عند الطبري (٣٠/ ٨٠، ٨١) في تفسيره، وابن كثير (٨/ ٢٦٢، ٢٦٣) في تفسيره.

(١١) الماوردي (٦/ ٢١٦) في تفسيره.

أَلم تر أنَّ اللَّهَ أنزلَ مُزْنَهُ وعُفْرُ الظباءِ في الكِناس تَقَمَّعُ

وقال طرفة:

كأنْ كِناسَيْ ضالةٍ يكْنُفانِها وأطْرَ قِسِيٍّ تحتَ صُلْبٍ مُؤَيَّدِ

وقيل: الكنوس أن تأوي إلى مكانسـها، وهي المواضع التي تأوي إليـها الوحوش والظبـاء، قال الأعشى في ذلك:

فلمَّا أتينا الحي أَتْلَعَ أنسٌ كما أَتلَعَتْ تحتَ المكانِس رَبْربُ

يقال: تلع النهار ارتفع ،وأتلعت الظبية من كناسها: أي: سمت بجيدها، وقال امرؤ القيس:

تَعَشَّى قليلاً ثم أنحى ظُلُوفه يثير الترابَ عن مَبيتٍ ومكْنِسِ

والكنس: جمع كانس وكانسة، وكذا الخنس جـمع خانس وخانسة، والجواري: جمع جارية من جرى يـجري، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ قال الفـراء: أجمع المفـسرون على أن مـعنى عسـعس أدبر؛حكاه الجوهـري، وقال بعض أصـحابنا: إنه إذا دنا من أوله وأظلم وكـذلك السحـاب إذا دنا من الأرض، المهدوي﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أدبر بظلامه؛ عن ابن عباس ومجاهد وغـيرهما، وروي عنهما أيضا وعن الحسن وغيره: أقبل بظلامه، زيد بن أسلم﴿عَسْعَسَ﴾ ذهب (١). الفراء: العرب تقول:عسعس الليل وسعسع : إذا لم يبق منه إلا اليسير. الخليل وغـيره: عسعس الليل: إذا أقبل أو أدبر. المبرد: هو من الأضداد، والمعـنيان يرجعـان إلى شيء واحد، وهو ابتـداء الظلام في أوله، وإدباره في آخـره؛ وقال علقمة بن قرط:

حتى إذا الصبحُ لها تنفَّسا وانجابَ عنها ليلُها وعَسْعَسَا

وقال رؤبة:

يا هندُ ما أسرعَ ما تَسَعْسَعَا من بَعْدِ ما كان فَتًى سَرَعْرَعَا

وهذه حجة الفراء، وقال امرؤ القيس:

عَسْعَسَ حتّى لو يشاءُ ادَّنا كانَ لنا مِن نارِه مَقْبِسُ

فهذا يدل على الدنو، وقال الحسن ومجاهد: عسعس: أظلم، قال الشاعر:

حتى إذا ما ليلُهُنَّ عسعسَا رِكبن مِن حدِّ الظّلامِ حِنْدِسَا

الماوردي: وأصل العس الامتـلاء؛ ومنه قيل للقدح الكبيـر: **عس لامتلائه بما فيـه، فأطلق على** إقبال الليل لابتداء امـتلائه؛وانطلق على إدباره لانتهاء امتلائه وانطلق على ظلامه؛ لاسـتكمال امتلائه به، وأما قول امرئ القيس.

أَلَّما على الربعِ القديم بِعسْعَسَا

فموضع بالبادية، وعسعس أيضا اسم رجل؛ قال الرجز:

وعَسْعَسَ نِعْمَ الفتَى تبياه

---

(١) رواها الطبري (٣٠/ ٨٢، ٨٣) والسند إلى ابن عباس ضعيف، فقد روى بإسناد منقطع عن علي بـن أبي طلحة، عن ابن عباس ، وروى أيضًا من طريق العوفيين كما في تفسير الطبري (٣٠/ ٨٢) .

أي: تعتمده. ويقال للذئب العسعس والعَسْعَاس والعِسعاس؛ لأنه يعس بالليل ويطلب، ويقال للقنافذ العساعس لكثرة ترددها بالليل، قال أبو عمرو: والتعسعس: الشم، وأنشد:

كمنخر الذِّئبِ إذا تَعَسْعَسَا

والتعسعس أيضا: طلب الصيد [بالليل].

قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي: امتد حتى يصير نهارا واضحا؛ يقال للنهار إذا زاد: تنفس، وكذلك الموج إذا نضح الماء، ومعنى التنفس: خروج النسيم من الجوف، وقيل: ﴿إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي: انشق وانفلق؛ ومنه تنفست القوس، أي: تصدعت، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا جواب القسم، والرسول الكريم جبريل؛ قاله الحسن وقتادة والضحاك [١]، والمعنى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ عن الله ﴿كَرِيمٍ﴾ على الله، وأضاف الكلام إلى جبريل عليه السلام، ثم عداه عنه بقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠]ليعلم أهل التحقيق في التصديق: أن الكلام لله عز وجل، وقيل: هو محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ من جعله جبريل فقوته ظاهرة، فروى الضحاك عن ابن عباس قال: من قوته قلعه مدائن قوم لوط بقوادم جناحه، ﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ﴾ أي: عند الله جل ثناؤه ﴿مَكِينٍ﴾ أي: ذي منزلة ومكانة [٢]، فروي عن أبي صالح قال: يدخل سبعين سرادقا بغير إذن [٣]، ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ أي: في السموات؛ قال ابن عباس: من طاعة الملائكة جبريل: أنه لما أسري برسول الله ﷺ قال جبريل عليه السلام لرضوان خازن الجنان: افتح له، ففتح، فدخل ورأى ما فيها، وقال لمالك خازن النار: افتح له جهنم حتى ينظر إليها، فأطاعه وفتح له [٤]، ﴿أَمِينٍ﴾ أي: مؤتمن على الوحي الذي يجيء به، ومن قال: إن المراد محمد ﷺ فالمعنى ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مُّطَاعٍ﴾ أي: يطيعه من أطاع الله جل وعز، ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ يعني محمدا ﷺ ليس بمجنون حتى يتهم في قوله، وهو من جواب القسم، وقيل: أراد النبي ﷺ أن يرى جبريل في الصورة التي يكون بها عند ربه جل وعز فقال: ما ذاك إلي؛ فأذن له الرب جل ثناؤه، فأتاه وقد سد الأفق، فلما نظر إليه النبي ﷺ خر مغشيا عليه، فقال المشركون: إنه مجنون، فنزلت: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ وإنما رأى جبريل على صورته فهابه، وورد عليه ما لم تحتمل بنيته، فخر مغشيا عليه [٥].

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ أي: رأى جبريل في صورته، له ستمائة جناح. ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ أي: بمطلع الشمس من قبل المشرق؛ لأن هذا الأفق إذا كان منه تطلع الشمس فهو مبين. أي:

---

(١) صحيح إلى قتادة: الطبري (٣٠/ ٨٤) في تفسيره، و(٣٠/ ١٨٥).

(٢) منقطع: بين الضحاك وبين عباس ـ رضي الله عنهما وانظر السابق.

(٣) ضعيف المعنى جدًا: أبو الشيخ (٣/ ٩٧٥) في العظمة وفيه (سبعين ألفا)، والطبري (٣٠/ ٨٥) في تفسيره.

(٤، ٥) هذه ضمن حديث المعراج المنحول على ابن عباس ـ رضي الله عنهما..

من جهته ترى الأشياء، وقيل: الأفق المبين: أقطار السماء ونواحيها؛ قال الشاعر:

أخَذْنا بآفاقِ السَّماءِ عليكُمُ لنا قَمراها والنُّجومُ الطَّوالِعُ

الماوردي: فعلى هذا، فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه رآه في أفق السماء الشرقي؛ قاله سفيان. الثاني: في أفق السماء الغربي، حكاه ابن شجرة، الثالث: أنه رآه نحو أجياد، وهو مشرق مكة؛ قاله مجاهد، وحكى الثعلبي عن ابن عباس، قال النبي ﷺ لجبريل: « إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء« قال: لن تقدر على ذلك، قال: « بلى» قال: فأين تشاء أن أتخيل لك؟ قال: «بالأبطح» قال: لا يسعني، قال: «فبمنى» قال: لا يسعني، قال: «فبعرفات» قال: ذلك بالحري أن يسعني، قواعده فخرج ﷺ للوقت، فإذا هو قد أقبل بخشخشة وكلكلة من جبال عرفات، قد ملأ ما بين المشرق والمغرب، ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فلما رآه النبي ﷺ خر مغشيا عليه، فتحول جبريل في صورته، وضمه إلى صدره، وقال: يا محمد لا تخف؛ فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل أحيانا من خشية الله، حتى يصير مثل الوصع - يعني العصفور - حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته ، وقيل: إن محمدا عليه الصلاة والسلام رأى ربه عز وجل بالأفق المبين، وهو معنى قول ابن مسعود، وقد مضى القول في هذا في «والنجم» مستوفى، فتأمله هناك، وفي﴿الْمُبِينِ﴾ قولان: أحدهما أنه صفة الأفق؛ قاله الربيع، الثاني: أنه صفة لمن رآه؛ قاله مجاهد [١]،«وما هو على الغيب بظنين »: بالظاء [٢]، قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي، أي: بمتهم، والظنة التهمة؛ قال الشاعر:

أما وكتاب اللَّه لا عن شناءة هُجرتُ ولكنّ الظنينَ ظَنِينُ

واختاره أبو عبيد؛ لأنهم لم يبخلوه ولكن كذبوه؛ ولأن الأكثر من كلام العرب: ما هو بكذا، ولا يقولون: ما هو على كذا، إنما يقولون: ما أنت على هذا بمتهم، وقرأ الباقون ﴿بِضَنِينٍ﴾ بالضاد: أي: ببخيل من ضننت بالشيء أضن ضنا [فهو] ضنين، فروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: لا يضن عليكم بما يعلم [٣]، بل يعلم الخلق كلام الله وأحكامه، وقال الشاعر:

جود بمكنون الحديث وإنني بسِرِّكَ عمن سالني لضَنِينُ

والغيب: القرآن وخبر السماء، ثم هذا صفة محمد عليه الصلاة والسلام، وقيل: صفة جبريل عليه السلام، وقيل: بظنين: بضعيف، حكاه الفراء والمبرد؛ يقال: رجل ظنين: أي: ضعيف، وبئر ظنون: إذا كانت قليلة الماء؛ قال الأعشى:

ما جُعِلَ الجَدُّ الظَّنونُ الذي جُنِّبَ صَوْبَ اللجبِ الماطِرِ

مِثلَ الفُراتيِّ إذا ما طما يقذف بالبُوصيِّ والماهِرِ

والظنون: الدَّين الذي لا يدري أيقضيه آخذه أم لا؟ ومنه حديث علي عليه السلام في الرجل

---

(١) انظر: الطبري (٣٠/ ٨٦) في تفسيره .

(٢) قراءة متواترة : كما في تقريب النشر (ص١٨٦).

(٣) صحيح إلى مجاهد : الطبري (٣٠/ ٨٦) في تفسيره .

يكون له الدين الظنون، قال: يزكيه لما مضى إذا قبضه إن كان صادقا، والظنون: الرجل السيئ الخلق؛ فهو لفظ مشترك.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ أي: مرجوم ملعون، كما قالت قريش، قال عطاء: يريد بالشيطان الأبيض الذي كان يأتي النبي ﷺ في صورة جبريل يريد أن يفتنه [١]، ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ قال قتادة: فإلى أين تعدلون عن هذا القول وعن طاعته [٢]، كذا روى معمر عن قتادة؛ أي: أين تذهبون عن كتابي وطاعتي [٣]، وقال الزجاج: فأي طريقة تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينت لكم، ويقال: أين تذهب؟ وإلى أين تذهب؟ وحكى الفراء عن العرب: ذهبت الشام وخرجت العراق وانطلقت السوق، أي: إليها، قال: سمعناه في هذه الأحرف الثلاثة؛ وأنشدني بعض بني عقيل:

تَصِيحُ بنا حنيفةُ إذْ رأتنا ... وأيَّ الأرضِ تَذْهبُ بالصِّياحِ

يريد إلى أي أرض تذهب، فحذف إلى، وقال الجنيد: معنى الآية مقرون بآية أخرى؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١] المعنى: أي طريق تسلكون أبين من الطريق الذي بينه الله لكم، وهذا معنى قول الزجاج، ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ أي: موعظة وزجر، و﴿إِنْ﴾ بمعنى ﴿مَا﴾، وقيل: ما محمد إلا ذكر، ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ أي: يتبع الحق ويقيم عليه، وقال أبو هريرة وسليمان بن موسى: لما نزلت: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ قال أبو جهل: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم - وهذا هو القدر؛ وهو رأس القدرية - فنزلت: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٤]، فبين بهذا أنه لا يعمل العبد خيرا إلا بتوفيق الله، ولا شرا إلا بخذلانه، وقال الحسن: والله ما شاءت العرب الإسلام حتى شاءه الله لها، وقال وهب بن منبه: قرأت في سبعة وثمانين كتابا مما أنزل الله على الأنبياء: من جعل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر [٥]، وفي التنزيل: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] والآي في هذا كثير، وكذلك الأخبار، وأن الله سبحانه هدى بالإسلام، وأضل بالكفر، كما تقدم في غير موضع.

ختمت السورة والحمد لله.

---

(١) ضعيف جدًا: مرسل، كما أن مسألة الشيطان الأبيض، هذه منحولة ولا تصح، فهي تفتح باب أن للشيطان من السلطان على الأنبياء ماله، وهذا غير صحيح.

(٢، ٣) صحيح إلى قتادة: الطبري (٣٠/ ٨٨) في تفسيره.

(٤) مرسل صحيح: الطبري (٣٠/ ٨٩) في تفسيره، والواحدي (ص٣٨٧) في أسباب النزول، وخبر أبي هريرة عزاه السيوطي (٦/ ٥٣٢) في الدر إلى ابن مردويه وابن أبي حاتم.

(٥) الخبر من الإسرائيليات وفيه ضعف: البيهقي (١/ ٣٩٨) في الأسماء والصفات، وفيه أبو سنان وهو عيسى بن سنان القسملي وهو ضعيف، وعند البيهقي (اثنان وتسعون).

سـورة الانفطار

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ أي: تشققت بأمر الله؛ لنزول الملائكة؛ كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقيل: تفطرت لهيبة الله تعالى، والفطر: الشق؛ يقال: فطرته فانفطر؛ ومنه: فطر ناب البعير: طلع، فهو بعير فاطر. وتفطر الشيء: تشقق، وسيف فطار، أي: فيه شقوق؛ قال عنترة:

وسيفي كالعقيقة[1] وهو كمعي ... سلاحي لا أفلّ ولا فُطَارا

وقد تقدم في غير موضع، ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ أي: تساقطت؛ نثرت الشيء أنثره نثرا، فانتثر، والاسم: النَّثار، والنُّثار بالضم: ما تناثر من الشيء، ودُرٌّ مُنَثَّر، شدد للكثرة، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي: فجر بعضها في بعض، فصارت بحرا واحدا، على ما تقدم، قال الحسن: فجرت: ذهب ماؤها ويبست؛ وذلك أنها أولا راكدة مجتمعة؛ فإذا فجرت تفرقت، فذهب ماؤها، وهذه الأشياء بين يدي الساعة، على ما تقدم في ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ أي: قلبت فأخرج ما فيها من أهلها أحياء؛ يقال: بعثرت المتاع: قلبته ظهرا لبطن، وبعثرت الحوض وبحثرته: إذا هدمته وجعلت أسفله أعلاه، وقال قوم منهم الفراء: ﴿بُعْثِرَتْ﴾: أخرجت ما في بطنها من الذهب والفضة، وذلك من أشراط الساعة: أن تخرج الأرض ذهبها وفضتها، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ مثل: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]، وتقدم، وهذا جواب ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ لأنه قسم في قول الحسن وقع على قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ يقول: إذا بدت هذه الأمور من أشراط الساعة ختمت الأعمال فعلمت كل نفس ما كسبت؛ فإنها لا ينفعها عمل بعد ذلك، وقيل: أي: إذا كانت هذه الأشياء قامت القيامة، فحوسبت كل نفس بما عملت، وأوتيت كتابها بيمينها أو بشمالها، فتذكرت عند قراءته جميع أعمالها، وقيل: هو خبر وليس بقسم، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ﴾ خاطب بهذا منكري البعث، وقال ابن عباس: الإنسان هنا:

(١) العقيقة: شعاع البرق، والكمع: الضجيع، كما في اللسان «عقق، وكمع».

الوليد بن المغيرة ، وقال عكرمة: أبي بن خلف ، وقيل: نزلت في أبي الأشد بن كلدة الجمحي [١]، عن ابن عباس أيضا: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ أي: ما الذي غرك حتى كفرت بربك الكريم، أي: المتجاوز عنك ، قال قتادة: غره شيطانه المسلط عليه. الحسن: غره شيطانه الخبيث [٢] ، وقيل: حمقه وجهله [٣] ، رواه الحسن عن عمر رضي الله عنه [٤] ، وروى غالب الحنفي قال: لما قرأ رسول الله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] قال: « غره الجهل» [٤]. وقال صالح بن مسمار: بلغنا أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾؟ فقال: «غره جهله»[٥] ، وقال عمر رضي الله عنه: كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢] ، وقيل: غره عفو الله، إذ لم يعاقبه في أول مرة ، قال إبراهيم بن الأشعث: قيل للفضيل بن عياض: لو أقامك الله تعالى يوم القيامة بين يديه، فقال لك: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] ماذا كنت تقول؟ قال: كنت أقول: غرني ستورك المرخاة، لأن الكريم هو الستار [٦] ، نظمه ابن السماك فقال:

يا كاتمَ الذَّنب أما تستحي ... واللَّهُ في الخُلْوة ثانيكَا
غَرَّكَ من ربِّكَ إمْهَالُهُ ... وسَتْرُه طولَ مَساويكَا

وقال ذو النون المصري: كم من مغرور تحت الستر وهو لا يشعر .

وأنشد أبو بكر بن طاهر الأبهري:

يا من غلا في العُجْب والتيهِ ... وغره طولُ تماديه
أَمْلَى لكَ اللهُ فبارزتُه ... ولم تَخَف غِبَّ مَعاصيهِ

وروي عن علي رضي الله عنه أنه صاح بغلام له مرات فلم يلبه فنظر فإذا هو بالباب، فقال: مالك لم تجبني؟ فقال ، لثقتي بحلمك، وأمني من عقوبتك ، فاستحسن جوابه فأعتقه ، وناس يقولون: ما غرك: ما خدعك وسول لك حتى أضعت ما وجب عليك؟ وقال ابن مسعود: ما منكم من أحد إلا وسيخلو الله به يوم القيامة، فيقول له: يابن آدم ماذا غرك بي؟ يابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ يابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟ [٧] ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ أي: قدر خلقك من نطفة ﴿فَسَوَّاكَ﴾ في بطن أمك، وجعل لك يدين ورجلين وعينين وسائر أعضائك ،﴿فَعَدَلَكَ﴾ أي: جعلك معتدلا سوى الخلق؛ كما يقال: هذا شيء معدل ، وهذه قراءة العامة [٨] ،وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم؛ قال

---

(١) انظر :لباب النقول (ص٤٥٠) ، للسيوطي وابن أبي حاتم (١٢/ ٣٧٨) في تفسيره .
(٢) صحيح إلى قتادة : الطبري (٣٠/ ٩٢) في تفسيره .
(٣) ضعيف : انظر : تفسير الحسن البصري (٢/ ٤٠٣) ، وفيه انقطاع بين الحسن وعمر ،فالحسن الذي ولد في آخر سنتين من خلافة عمر ـ رضي الله عنه .
(٤) ذكره ابن أبي حاتم (١٢/ ٣٧٨) عن عمر لا عن النبي ﷺ .
(٥) ضعيف : صالح بن مسمار هذا رواه بلاغًا ، وقد عزاه السيوطي (٦/ ٥٣٤) في الدر المنثور لعبد بن حميد .
(٦) ذكره ابن كثير (٨/ ٢٦٧) في تفسيره .
(٧) حسن بمجموع طرقه وشواهده : الزهد (١/ ١٣) لابن المبارك ، وعبد الله ابن الإمام أحمد (٢/ ٤٩٨) في السنة، والهيثمي (١٠/ ٣٤٧) في المجمع .
(٨) قراءة متواترة : كما في تقريب النشر (ص١٨٦) .

الفـراء: وأبو عبيـد: يدل عليـه قوله تعـالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] ، وقرأ الكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي ﴿فَعَدَلَكَ﴾ مخففا أي: أمـالك وصرفك إلى أي صورة شاء، إما حسنا وإما قبيحا، وإما طويلا وإما قصيرا ،وقال[موسى بن علي بن رباح اللخمي عن أبيه عن جده] قال: قال لي النبي ﷺ: « إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم ، أما قرأت هذه الآية: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾؟» قال: « فيما بينك وبين آدم» (١) ،وقال عكرمة وأبو صالح ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ إن شاء في صورة إنسان، وإن شاء فـي صورة حمار، وإن شاء في صورة قرد، وإن شـاء في صورة خنزير (٢) ، وقال مكحـول: إن شاء ذكرا، وإن شـاء أنثى ، وقال مجاهد: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ ﴾ أي: في أي شبه من أب أو أم أو عم أو خال أو غيرهم(٣)، و﴿فِي﴾ متعلقة بـ﴿رَكَّبَكَ﴾، ولا تتعلق بـ« عَدَلَكَ »، على قراءة من خفف؛ لأنك تقول: عدلت إلى كذا، ولا تقول: عدلت في كذا؛ ولذلك منع الفراء التخـفيف؛ لأنه قدر « في » متعلقة بـ ﴿ عَدَلَكَ ﴾، و﴿ما﴾ يجوز أن تكون صلة مـؤكدة؛ أي: في أي: صورة شـاء ركبك ، ويجـوز أن تكون شرطيـة أي: إن شاء ركبك في غير صورة الإنسان من صورة قرد أو حمار أو خنزير، فـ﴿ مَّا﴾ بمعنى الشرط والجزاء؛ أي: في أي صورة ما شاء أن يركبك فيها ركبك.

قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ يجوز أن تكون ﴿كَلاَّ﴾ بمعنى حقا و«ألا» فيبتدأ بها ، ويجوز أن تكون بمعنى ﴿لا﴾، على أن يكون المعنى ليس الأمـر كما تقـولون من أنكم في عبادتكم غـير الله محقون ، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] وكذلك يقول الفراء: يصير المعنى: ليس كـما غررت به ، وقـيل: أي: ليس الأمر كـما يقولون، من أنه لا بـعث ، وقيل: هو بمعنى الردع والزجر ، أي: لا تغـتروا بحلم الله وكـرمه، فتـتركوا التفـكر في آياته ، ابن الأنباري: الوقف الجيد على ﴿الدِّينِ﴾، وعلى ﴿رَكَّبَكَ﴾، والوقف على ﴿كَلاَّ﴾ قبيح ، ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ يا أهل مكة ﴿بِالدِّينِ﴾ أي: بالحساب، و﴿بَلْ﴾ لنفي شيء تقدم وتحقيق غيـره ، وإنكارهم للبعث كان معلوما، وإن لم يجر له ذكر في هذه السورة .

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ أي: رقباء من الملائكة ﴿كِرَامًا﴾ أي: عليَّ؛ كقوله: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦] .

وهنا ثلاث مسائل:

الأولى: روي عن رسول الله ﷺ: « أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفـارقونكم إلا عند إحدى

---

(١) ضعيف جـدًا : الطبري (٣٠/ ٩٢، ٩٣) في تفسيره ، وابن أبي حاتم (١٢/ ٣٧٩) في تفـسيره ، وفى إسنادهم جميعًا (مطهر بن الهيثم) وهو متروك ، كما ذكر ابن كثير (٨/ ٢٦٨) بعد الحديث ـ في تفسيره .

(٢) انظر: الطبري (٣٠/ ٩٢) في تفسيره.

(٣) صحيح إلى مجاهد : السابق (٣٠/ ٩٢) .

حالتين: الخراءة أو الجماع، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجذم [حائط] أو بغيره، أو ليستره أخوه »[١]، وروي عن علي رضي الله عنه قال: « لا يزال الملك موليا عن العبد ما دام بادي العورة »[٢] وروي: «إن العبد إذا دخل الحمام بغير مئزر لعنه ملكاه »[٣].

الثانية: واختلف الناس في الكفار هل عليهم حفظة أم لا؟ فقال بعضهم: لا؛ لأن أمرهم ظاهر، وعملهم واحد؛ قال الله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١]، وقيل: بل عليهم حفظة؛ لقوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار]، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة: ٢٥] وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الإنشقاق: ١٠]، فأخبر أن الكفار يكون لهم كتاب، ويكون عليهم حفظة، فإن قيل: الذي على يمينه أي شيء يكتب ولا حسنة له؟ قيل له: الذي يكتب عن شمال يكون بإذن صاحبه، ويكون شاهدا على ذلك وإن لم يكتب، والله أعلم.

الثالثة: سئل سفيان: كيف تعلم الملائكة أن العبد قد هم بحسنة أو سيئة؟ قال: إذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك، وإذا هم بسيئة وجدوا منه ريح النتن، وقد مضى في «ق» عند قوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] زيادة بيان لمعنى هذه الآية، وقد كره العلماء الكلام عند الغائط والجماع، لمفارقة الملك العبد عند ذلك، وقد مضى في آخر «آل عمران» القول في هذا[٤]، وعن الحسن: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم، وقيل: يعلمون ما ظهر منكم دون ما حدثتم به أنفسكم، والله أعلم.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ تقسيم مثل قوله: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الروم] الآيتين، ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ أي: يصيبهم لهبها وحرها ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: يوم الجزاء والحساب، وكرر ذكره تعظيما لشأنه؛ نحو قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾ [القارعة] وقال ابن عباس فيما روي عنه: كل شيء من القرآن من قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فقد أدراه، وكل شيء من قوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فقد طوي عنه[٥]، ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿يَوْمُ﴾[٦] بالرفع على البدل من «يَوْمُ الدِّينِ» أو

---

(١) ضعيف جدًا: ابن مردويه بنحوه عن ابن عباس كما في تفسير الدر المنثور (٦/ ٧٣٥) للسيوطي، وضعفه الدارقطني (٨/ ٢٣٢) في علل الحديث. ورواه ابن أبي حاتم (١٢/ ٣٧٩) مرسلاً عن مجاهد.

(٢ ـ ٣) لم أجدهما إلا هنا.

(٤) عند الآية (١٩١).

(٥) قد سبق.

(٦) قراءة متواترة: كما في تقريب النشر (ص١٨٦).

ردا على اليوم الأول، فيكون صفة ونعتا لـ ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾ ، ويجوز أن يرفع بإضمار «هو »، الباقون بالنصب على أنه في موضع رفع إلا أنه، نصب، لأنه مضاف غير محض؛ كما تقول: أعجبني يوم يقوم زيد ، وأنشد المبرد:

مِن أيِّ يومَيَّ مِنَ الموتِ أفِرّ أيومَ لم يقْدَرَ أم يومَ قُدِرْ

فاليومان الثانيان مخفوضان على الترجمة عن اليومين الأولين، إلا أنهما نصبا في اللفظ؛ لأنهما أضيفا إلى غير محض ، وهذا اختيار الفراء والزجاج ، وقال قوم: اليوم الثاني منصوب على المحل، كأنه قال: في يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، وقيل: بمعنى: إن هذه الأشياء تكون يوم، أو على معنى يدانون يوم؛ لأن ﴿الدِّينِ﴾ يدل عليه، أو بإضمار اذكر ، ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ لا ينازعه فيه أحد، كما قال: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧] .

تمت السورة والحمد لله .